موجز في التّفسير

سورة القلم

سليمان بيضون

*** السّورة الثامنة والسّتّون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلت بعد سورة «العَلَق».**

*** سُمّيت بـ «القلم» لابتدائها بقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ..﴾.**

*** آياتها اثنتان وخمسون، وهي مكّيّة، مَنْ قرأها أعطاه الله ثواب الذين حَسَّنَ أخلاقَهم، كما في الحديث النبويّ الشريف.**

في ما يلي موجز في تفسير السّورة المباركة اخترناه من تفاسير: (الميزان) للعلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله و(الأمثل) للمرجع الدّينيّ الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، و(نور الثّقلين) للشّيخ عبد علي الحويزي رحمه الله.

أقسم الله سبحانه وتعالى في مطلع هذه السورة بـ «القلم»، وبـ «ما يسطرون»، وفيه إشارة بيّنة إلى مكانة القلم والكتابة في الإسلام، كما إنّ في قوله سبحانه في سورة العلق ﴿.. عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ إشارة إلى ذلك. واللافت في هذا الحَلَف أنّ القرآن الكريم نزل وسط مجتمع ساده التخلّف والجهل والأمّية، وكان مَن يُجيد القراءة والكتابة في العصر الجاهلي لا يتجاوز عدد أصابع اليدين.

محتوى السورة

محتوى آيات سورة القلم ينسجم تماماً مع السور المكّية، لأنّ المحور الأساسي فيها يدور حول مسألة نبوّة رسول الإسلام، صلّى الله عليه وآله، ومواجهة الأعداء الذين كانوا ينعتونه بالجنون وغيره، وتأكيد الصبر والاستقامة وتحدّي الصعاب، وإنذار المُخالفين لهذه الدعوة المباركة وتهديدهم بالعذاب الأليم.

ويمكن تلخيص مباحث هذه السورة بسبعة أقسام:

١ - في البداية تستعرض السورة بعض الصفات الخاصّة بالرسول صلّى الله عليه وآله، وخصوصاً أخلاقه السامية الرفيعة، ويُقسم البارئ عزّ وجلّ لتأكيد هذا الأمر. (الآيات ١ - ٤)

٢ - تتعرّض بعض الآيات في هذه السورة إلى قسم من الصفات السيّئة والأخلاق الذميمة لأعداء النبيّ صلّى الله عليه وآله. (الآيات ٨ - ١٥)

٣ - يبيّن قسم آخر من الآيات الشريفة قصّة «أصحاب الجنّة» التي هي بمنزلة توجيه إنذار وتهديد للسالكين طريق العناد من المشركين. (الآيات من ١٧ إلى ٣٣)

٤ - في قسم آخر من السورة ذُكرت عدّة أمور عن القيامة والعذاب الأليم للكفّار فيها. (الآيتان ٤٢ و٤٣)

٥ - جملة إنذارات وتهديدات للمشركين. (الآيتان ٤٤ و٤٥)

٦ - أمر إلهي للرسول صلّى الله عليه وآله بأن يواجه الأعداء بصبر، واستقامة، وقوّة وصلابة. (الآيات من ٤٨ إلى ٥٠)

٧ - تختتم السورة موضوعاتها بحديث حول عظَمة القرآن الكريم، وطبيعة المؤامرات التي كان يحوكها الأعداء ضدّ الرسول صلّى الله عليه وآله. (الآيتان ٥١ -٥٢)

ثواب تلاوتها

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**مَنْ قَرَأَ - ن وَالقَلَمِ - أَعْطاهُ اللهُ ثَوابَ الّذينَ حَسَّنَ أَخْلاقَهمْ**».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: « **مَنْ قَرَأَ سَورَةَ - ن وَالقَلَمِ - في فَريضَةٍ أَوْ نافِلَةٍ، آمَنَهُ اللهُ أَنْ يُصيبَهُ في حَياتِهِ فَقْرٌ أَبَداً، وَأَعاذَهُ إِذا ماتَ مِنْ ضَمَّةِ القَبْرِ إِنْ شاءَ اللهُ**».

تفسيرُ آياتٍ من سورة (القلم)

قول تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ..﴾ الآية:١.

* الإمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ عَشرَةُ أَسْماءَ. خَمْسَةٌ فِي القُرآنِ، وَخَمْسَةٌ لَيْسَتْ فِي القُرْآنِ، فَأَمّا الّتِي فِي القُرْآنِ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَعَبْدُ اللهِ، وَيَس، وَنُون..**».

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «..**وَأَمّا نُون، فَكَانَ نَهْراً في الجَنَّةِ أَشَدَّ بَياضاً مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: كُنْ مِداداً. فَكانَ مِداداً، ثُمَّ أَخَذَ شَجَرَةً فَغَرَسَها بِيَدِهِ**«..» **ثُمَّ قالَ لَها: كُوني قَلَماً. ثُمَّ قالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقالَ لَهُ: يا رَبِّ وَما أَكْتُبُ؟ قالَ: ما هُوَ كائِنٌ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ..**».

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية:٤.

* النبيّ صلّى الله عليه وآله: «أَدَّبَني رَبّي فَأَحْسَنَ تَأْديبي».

* الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَدَّبَ نَبِيَّهُ عَلى مَحَبَّتِهِ فَقالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾».

* وسئل عليه السلام عن حدّ حُسن الخُلق، فقال: «تُلَيِّنُ جانِبَكَ، وَتُطَيِّبُ كَلامَكَ، وَتَلْقى أَخاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ».

قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ الآية:١١.

* عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرارِكُمْ؟ قالوا: بَلى يا رسولَ اللهِ. قالَ: المَشّاؤونَ بِالنَّميمَةِ، المُفَرِّقونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الباغونَ للنّاسِ العَيْبَ».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ: السَّفّاكُ للدَّمِ، وَشارِبُ الخَمْرِ، وَمَشّاءٌ بِنَميمَةٍ».

قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ الآية:١٣.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «العُتُلُّ: العَظيمُ الكُفْرِ، وَالزَّنيمُ: المُسْتَهْزِئُ [المستهتر] بِكُفْرِهِ».

قوله تعالى: ﴿..إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ الآيات:١٧-٢٠.

الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُدْرَأُ عَنْهُ الرِّزْقُ»، وَتَلا عليه السلام هَذِهِ الآيَة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الآية:٤٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام في وصف حال الّذين لا يستطيعون السجود يوم القيامة: «أُفْحِمَ القَوْمُ، وَدَخَلَتْهُمُ الهَيْبَةُ، وَشَخَصَتِ الأَبْصارُ، وَبَلَغَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ لِما رَهِقَهُمْ مِنَ النَّدامَةِ وَالخِزْيِ وَالذِّلَّةِ..».

* الإمام الكاظم عليه السلام: «حِجابٌ مِنْ نورٍ يُكْشَفُ، فَيَقَعُ المُؤْمِنونَ سُجَّداً، وَتُدْمَجُ أَصْلابُ المُنافِقينَ فَلا يَسْتَطيعونَ السُّجودَ».

قوله تعالى: ﴿..وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ الآية:٤٣.

* الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية: «[يُدْعَوْنَ إِلى السُّجودِ وَهُمْ] مُسْتَطيعونَ، يَسْتَطيعونَ الأَخْذَ بِما أُمِروا بِهِ، وَالتَّرْكَ لِما نُهوا عَنْهُ، وَبِذَلِكَ ابْتُلوا..».

قوله تعالى: ﴿..سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية:٤٤.

* الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أَرادَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذَنْباً تَبِعَهُ بِنَقْمَةٍ وَيُذَكِّرُهُ الاسْتِغْفارَ، وَإِذا أَرادَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِعَبْدٍ شَرّاً فَأَذْنَبَ ذَنْباً تَبِعَهُ بِنِعْمَةٍ لِيُنْسِيَهُ الاسْتِغْفارَ وَيَتَمادى بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿..سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾».

* وعنه عليه السلام: «إذا أَحْدَثَ العَبْدُ ذَنْباً جَدَّدَ لَهُ نِعْمَةً فَيَدَعُ الاسْتِغْفارَ.. فَهُوَ الاسْتِدْراجُ».

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ الآية:٥١.

الإمام الصادق عليه السلام: «قالَ أَميرُ المُؤْمِنينَ: رَقى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَسَناً وَحُسَيْناً فَقالَ: أُعيذُكُما بِكَلِماتِ اللهِ التّامَّةِ، وَأَسْمائِهِ الحُسْنى كُلِّها عامّةً، مِنْ شَرِّ السّامَّةِ وَالهامَّةِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ، وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ، ثُمَّ الْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْنا فَقالَ: هَكذا كانَ يُعَوِّذُ إِبْراهيمُ إِسْماعيلَ وَإِسْحاقَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ».

سورة (القلم) هي الثامنة والسّتّون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، آياتها اثنتان وخمسون، وهي مكّيّة، نزلت بعد سورة (العلق)

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سورَةَ - ن وَالقَلَمِ - في فَريضَةٍ أَوْ نافِلَةٍ، آمَنَهُ اللهُ أَنْ يُصيبَهُ في حَياتِهِ فَقْرٌ أَبَداً...»

جعلها الله كما الرجل في الحظوة الإنسانيّة

المرأة وكرامتها في القرآن الكريم

العلامة الشيخ محمد هادي معرفة رحمه الله

للمرأة كرامتها الإنسانيّة في القرآن الكريم، وقد جعلها الله تعالى في مستوى الرجل في الحظوة الإنسانيّة الرّفيعة. فحينما كانت المرأة، في كلّ العالم، مُهانةً وضيعَةَ القدر، لا شأن لها في الحياة، جاء الإسلام وأخذ بيدها وصعد بها الى حيث مستواها الرّفيع الموازي لمستوى الرجل في المجال الإنساني الكريم: ﴿..لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ..﴾ النساء:٣٢. ﴿..وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..﴾ البقرة:٢٢٨.

القرآن الكريم عندما يتحدّث عن الإنسان – وليس في حقيقة الإنسانيّة ذكورة ولا أنوثة – إنّما يتحدّث عن الجنس ذكراً وأُنثى على سواء. وعندما يتحدّث عن كرامة الإنسان وتفضيله على كثير ممّن خلق الله تعالى، وعن الودائع التي أودعها هذا الإنسان، وعن نَفْخ روحه فيه، وعندما يُبارك نفسه في خلقه لهذا الإنسان، إنّما يتحدّث عن الذّات الإنسانية الرفيعة المُشتركة بين الذّكر والأنثى من غير فرق. هو سبحانه عندما يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ النجم:٣٩، وعندما يقول: ﴿..إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..﴾ الحجرات:١٣، والى أمثالها من تعابير.. لا يفرّق بين ذكرٍ وأُنثى: ﴿..أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ..﴾ آل عمران:١٩٥، لا تمييز بينهما ولا تفاوت في ما يمتاز به الإنسان في أصل وجوده وفي سعيه للبلوغ الى مراتب كماله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب:٣٥.

وقد جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ..﴾ الحجرات:١٣، دليلاً قاطعاً على موازاة الأنثى مع الذكر في أصالة النّوع البشري، ولا تزال هذه الأصالة محتَفظاً بها عبر تناسُل الأجيال. هناك خصائص نفسيّة وعقليّة ميّزت أحدهما عن الآخر في تكوينه الذّاتي ما أوجب تفاوتاً في توزيع الوظائف التي يقوم بها كلٌّ منهما في حقل الحياة، توزيعاً عادلاً يتناسب مع مُعطيات ومؤهّلات كلّ من الذكر والأنثى، الأمر الذي يؤكّد شمول العدل في التّكليف والاختيار. ولننظر في هذه الفوارق الناشئة من مقام حكمته تعالى في الخلق والتّدبير.

التعادل في الأصل الإنساني

هنا وقفة قصيرة عندما نلحظ أنّ القرآن الكريم فضّل الرّجال على النساء بدرجة! فهل في ذلك حطٌّ من قدر المرأة؟ أو كمالٌ حظيَ به الرجل دونها؟

ليس من هذا أو ذلك في شيء، وإنّما هي متماهية مع ذات الفطرة التي جُبل عليها كلٌّ من الرجل والمرأة. إنّ معطيات الرجل النّفسية والخُلُقيّة تختلف عن معطيات المرأة، كما تختلف طبيعتها الأُنوثيّة المُرهفة الرّقيقة عن طبيعة الرجل الصّلبة الشديدة، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «**المَرْأَةُ رَيْحانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمانَةٍ**»، فنعومة طبعها وظرافة خَلقها تجعلها سريعة الانفعال تجاه عظائم الأمور، على خلاف الرجل في تريّثه ومقاومته عند مقابلة الحوادث.

فالمرأة في حقوقها ومزاياها الإنسانيّة تعادل الرجل: ﴿..وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..﴾ البقرة:٢٢٨، هذا في أصل خِلقتها لتكون للرّجل زوجاً من نفسه، أي نظيره في السِّنخ، فيتكافلان ويتعاونان معاً في الحياة الزوجيّة على سواء، فلها مثلُ الذي عليها من الحقّ المشترك، وهذا هو التّماثل بالمعروف، أي التّساوي في ما يعترف به العقل ولا يستنكره.

لكنّ الشّرط الذي يتحمّله الرجل في الحياة الزوجيّة، هو الشرط الأثقل والأشقّ، فضلاً عن القوامة والحماية التي تُثقل عبء الرجل في مزاولة الحياة؛ الأمر الذي استدعى شيئاً من التّمايز في الحقوق الزوجيّة نفسها، ما أوجب للرّجل امتيازاً بدرجة: ﴿..وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ..﴾ البقرة:٢٢٨، وهذا التّفاضل في الذّات والمعطيات هو الذي جعل من موضع الرجل في الأسرة موضع القوامة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ..﴾ النساء:٣٤.

والمسلَّم به أنّ الرجل والمرأة كلاهما من خلق الله، وأنّه تعالى لا يُريد ظلماً بأحدٍ من خلقِهِ، وهو يُهيّئه ويعدّه لوظيفة خاصّة، ويمنحه الاستعدادات اللاّزمة لإتقان هذه الوظيفة. وقد خلق الله الناس ذكراً وأنثى زوجَين على أساس القاعدة الكليّة في بناء هذا الكون، وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وتُرضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل، وهي وظائف ضخمة وخطيرة وليست هيّنة ولا يسيرة، بحيث يُمكن أن تؤدّى بدون إعداد عضويّ ونفسيّ وعقليّ عميق غائر في كيان الأنثى، فكان جديراً أن يُنيط بالشّريك الآخر (الرجل) توفير الحاجات الضرورية، وتوفير الحماية للأنثى كي تتفرّغ لأداء وظيفتها الخطيرة، ولا يفرض عليها أن تحمل وتضع وتُرضع وتكفل، ثمّ هي التي تعمل وتكدّ وتسهر ليلاً وتجهد نهاراً لحماية نفسها وكفالة ولدها في آنٍ واحد، وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضويّ والعصبيّ والعقليّ والنفسيّ ما يُعينُه على المُساهمة في هذه الوظائف الخطيرة، وهذا بحقّ قوله تعالى: ﴿..وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف:٤٩.

ومن ثمّ زُوِّدت المرأة – فيما زوِّدت به من خصائص – بالرّقة والعطف والحنان، وسرعة الانفعال، والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولا سابق تفكير، لأنّ الضّرورات الإنسانية العميقة كلّها والملحّة أحياناً – حتى في الفرد الواحد – قد لا تترك لأَرجحة الوعي والتّفكير وبطئه مجالاً، بل فرضت لها الاستجابة غير الإراديّة، لتُسهّل تلبيتها فوراً وفي ما يكاد يكون قسراً، ولكنّه قسرٌ داخلي غير مفروض من خارج النفس، ويكون لذيذاً ومستحبّاً في معظم الأحيان، لتكون الاستجابة سريعة من جهةٍ ومُريحة من جهة أخرى، مهما يكن فيها من المشقّة والتّضحية: ﴿..صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ..﴾ النمل:٨٨.

خصائص أصيلة

هذه الخصائص ليست سطحيّة، بل هي غائرة في التّكوين العضوي والعصبيّ والعقليّ والنفسيّ للمرأة، بل يقول كبار العلماء المختصّين إنّها غائرة في تكوين كلّ خليّة، لأنّها عميقة في تكوين الخليّة الأولى، التي يكون من انقسامها وتكاثرها الجنين، بكلّ خصائصه الأساسيّة.

وكذلك زُوِّد الرّجل – في ما زُوِّد به من الخصائص – بالمقاومة والصّلابة، وبطء الانفعال والاستجابة، والتّروي واستخدام الوعي والتّفكير قبل الحركة والاستجابة، لأنّ وظائفه كلّها منذ بدء الحياة وممارسة التّنازع في البقاء كانت تحتاج إلى قدرٍ من التّروّي قبل الإقدام، وإعمال الفكر والبطء في الاستجابة بوجهٍ عام، وكلّها عميقة في تكوينه عُمقَ خصائص المرأة في تكوينها، وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل في مجالها، كما أنّ تكليفه بالإنفاق – وهو فرعٌ من توزيع الاختصاصات – يجعله بدوره أَولى بالقوامة.

الشّرط الذي يتحمّله الرجل في الحياة الزوجيّة، هو الأثقل والأشقّ؛ الأمر الذي استدعى شيئاً من التّمايز في الحقوق الزوجيّة نفسها

إعراب الشاهد القرآني

بحوث نحوية لـ (٢٦٨) شاهداً في شرح (ألفيّة ابن مالك)

إعداد: محمود إبراهيم

قد يكون هذا الكتاب للباحث العراقي صبيح آل بهيّة من الأعمال النادرة في اختصاصه وفي طريقة معالجته قواعدَ إعراب آيات الاستشهاد في شرح العلّامة ابن عقيل (لألفيّة ابن مالك). وهذا موضوع يجمع الدارسون على أنّه من أفضل موضوعات النحو، حيث عكف المؤلّف على العناية به فترة مديدة من الزمن، ليظهّره على النحو الذي يستحقّه.

لقد قلّب المؤلّف النحو القديم في كتب الأوائل، وأطال عِشرة النحاة المشتغلين بهذه الشواهد القرآنية الكريمة التي تحتاج إلى علمٍ بدقائق النحو ومسائله، وهذا لا يتهيأ إلا لباحث ملأ قلبَهُ حبُّ الدرس اللغويّ والنحويّ فأعربَ بعلمٍ، وتحدّث عن بصيرة، فجاء بحثه ناضجاً وافياً تزيّنه جملة أمور؛ منها الأمانة، والاعتدال، والتثبّت، والرغبة في الانفتاح والإفادة.

في المقدّمة التي كتبها الباحث الدكتور علي مشري، ثناءٌ على الكتاب حيث يبيّن فيه الجهد الاستثنائي الذي بذله المؤلّف في هذا السبيل ويقول:

«لقد عَلَتِ اليوم لدى كثير من دارسي النحو العربي شكوى متبرّمة من موضوعاته، وصيحة ضاجّة من منهجه. ومن قديم أدرك هذا الأمر كثيرٌ من أهل العلم به، فألّفوا كتبهم فيه (مُقرّبين) أو (مُوضحِّين) أو (مُسهِّلين) أو (مُغْنين)، أو أنّهم التجأوا إلى اتّخاذ النظم خطّةً لضبط أحكامه وحفظ قواعده، ولكنّنا مع هذه الشكوى، وتلك الصيحة لا نبعد عن واقع اللغة، ولا عن طبيعة النحو حيث نتّخذ من عربية القرآن الكريم أمثلةً ننهلُ منها ونغترف من فيضها السمح ونبعها الثّر، لأنّنا نعتمد عندئذٍ على نصٍّ لغوي هو الغاية في السماحة والفصاحة، وبذلك يكون تعلّمنا لهذه اللغة الكريمة محكماً دقيقاً، لأنّها ليست شعراً قسى عليه الوزن أو حكمته قيود النظم، فابتعدت عن الطريق السويّ ونأت عن السبيل».

يحتوي كتاب آل بهيّة على إعراب مائتين وثمانية وستّين شاهداً قرآنياً، وهذا يدلّ على أهميّته كمادّة نحوية قيّمة في فضاء التعامل مع لغة الكتاب الإلهي. ولقد عمل الباحث على اعتماد «منهجية» علمية دقيقة لدراسته، بحيث سُجِّلت بإزاء كلّ شاهد رقم الآية واسم السورة في كتاب الله المجيد، كما جاء البحث مبوّباً ومرتّباً على حسب ترتيب الشيخ ابن عقيل وتبويبه.

وقد جُمعت الآيات الكريمات التي استشهد بها الشارح الكريم في كلّ باب على حِدة، وأُعرِبت كلّ آية وعُيِّن موضع الشاهد فيها مع تغطية لآراء النحاة وأهل العربية من ناحية إعرابه. وفي هذا المجال ينبّه المؤلّف إلى أنّ إدخال تعليقاته وآرائه الخاصة على الشرح لا يعني أنّ البحث الذي يقدّمه قد اعتمد الخلاف النحويّ، أو جعل هذا الموضوع مادّة له، بل العكس هو الصحيح.

وفي توضيحه يقول المؤلف: «لقد تعمُّدت أن أكون بعيداً قدر المستطاع عن أمر الخلاف. ولا أزعم أنّي اليوم، حين أردت نشر بحثي هذا، قد أعدته، أو أطلتُ فيه النظر، أو أضفت إليه من أقوال المفسّرين لآي القرآن الكريم، والنصوص الكريمة التي احتجّ بها ابن عقيل، وإنّما تركته على حاله كما قدّمته إلى طلبة الجامعات والحوزات العلمية».

وما ذاك إلّا ليقدّم المؤلّف – حسب قوله – تعريفاً موجزاً بكلّ باب من الأبواب النحويّة التي استلزمت شواهدها القرآنية. وهو ما أشار عليّ به بعض المقرّبين من المعنيّين، فكان له ما أراد، وتمّت إضافة ذلك التعريف الميسَّر المجتبى من مظانّه النحوية قديمها وجديدها، لأجل تحقيق تمام الفائدة بالقضية النحوية والشاهد القرآني عليها.

في كلّ حال، فقد أصبح الكتاب الآن بين يدي القرّاء والمتخصّصين ولهم أن يحكموا ويناقشوا عملاً فريداً في ميدان البحوث العلمية المتعلّقة بالقرآن الكريم.